

نفحات القرآن

[158] * * * ماذا لو كان في العالم إلهان ؟ الآية الثانية تُعرض هذا المضمون في

إطار آخر وصورة أخرى حيث تقول : (أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْذِرُونَ) (1). وفي التعبير بـ (من الأرض) إشارة لطيفة وهي أنَّهم (أي المشركون) كانوا يصنعون آلهتهم من الحجر والخشب والمعادن وهي موجودات أرضية ، فهل بإمكان هذه الموجودات أن تكون خالقة للسموات الواسعة وأن تكون الحاكمة والمدبِّرة والمديره لها ؟! ثمَّ تصيف الآية في مقام الإستدلال على بطلان عقيدتهم (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) . (فساد) يعني في الأصل - كما يقول الراغب في المفردات : خروج الشيء عن حدِّ الاعتدال كثيراً أم قليلاً ، في الروح أو الجسم أو الأشياء الأخرى في العالم ويقابله (الصلاح) . و (الفساد) هنا يعني الدمار والخراب واللا نظام والهرج والمرج وتضيف الآية في آخرها - كاستنتاج - (فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) .

وخلاصة الإستدلال هي : لو تعدَّد المدير والمدبِّر والخالق والحاكم والمتصرِّف في هذا العالم فإنَّ العالم لا يمكن أن يتَّسم بالنظام والتناسق ، وذلك لإنتهاء التعدُّد في الآلهة إلى تعدُّد التدبير المتصرِّف ، وبذلك يختلَّ عالم الوجود _____ 1 -

لفظ (أَمْ) في الآية - كما يقول جمع من المفسِّرين - منقطعة وتعني (بل) ، في حين اعتقد البعض بأنَّها بمعنى هل الإستفهامية ، وبما أنَّ المشركين لم يدَّعوا أنَّ الأصنام خالقة ، كان بمعنى الإستفهام الإنكاري أكثر مناسبة .